عبد الله سامسا في جزيرة الواقواق

مصطفى المسناوي

1 ـ في البدء :

في البدء كان الشعب ، وحان الشعب حرا في الموت من الجوع والصمت ومن رطوبة السجون والمعتقلات السرية ، وعندما استيقظ عبد الله سامسا من نومه ذات صباح ، بعد حلم مزعج ، لم يجد نفسه متحولا الى حشرة رائعة ولكنه وجد بداخل رأسه فكرة مستوردة .....

2 ـ عبد الله سامسا :

قال قل ،

3 ـ جزيرة الوقواق : (مقطع من المسوعة الفرعونية الكبرى)

« تقع حدود جزيزة الوقواق داخلها ، لا خارجها مثلما يتوهم البعض . ولهذا انما يعزى فشل الجغرافية في تديد موقعها على الخريطة ، وتمادي بعضهم الى حد انكار وجودها . والحال أنها موجودة ، ولا أدل على ذلك من وجود اسمها ذي المقطعين عظيمي الدلالة : (واق ـ واق) .

«وتحدد الجزيرة بسلسلتين جبليتين عرفت أولاهما بعمارات جالوت العظمى ، وتعرف الثانية بفيلات طاغوت الهادئة ، وهما سلسلتان تكونتا في العصر الخشبي الثالث ، ورغم ضآلةالمساحة التي تحتلانها فقد لقيتا أهمية بالغة من علماء الجيولوجية ، أكثر من تلك التي لقيتها سهول الجزيرة الواسعة التي اصطلح بعض الانثروبولوجيين على تسميتها بـ (الاودية البيدونفيلية) .

أما الانهار ، فنهاك سبعة أساسية ، عدا الفرعية ، تنبع كلها من القلاع والحصون التي تملا الاودية المذكورة ، وتصب دماؤها الحمراء ـ السوداء في في أغلب الاحيان ـ في الفراغ المحيط بالكرة الارضية .

وعن تاريخها فقد حكى جاما دي فاسكو في كتابه «رحلة العالم حولي» ـ ص 517 ـ أن هذه الجزيرة كانت متصلة باليابسة في قديم الزمان ، الى أن فصلها عنها الفاتح الاشهر «الاسكندر ذو القرن الواحد» بحد سيفه ، في القرن الاول لاختفاء قارة أطلنطا تحت رمال القطب المتجمد الغربي ، ولا زالت

سلالة هذا الفاتح تتناوب على حكم هذه الجزيرة الى الآن ، بالجزرة مرة وبالعصا مرات .

أما سياسة الجزيرة ، فهو أمر ممنوع الخوض فيه ، ولذلك لن نتحدث عنه في هذا المجال ..»

4 ـ عبد الله سامسا :

قال قل ، قال ماذا أقول ؟

5 ـ بعض ما رواه الشريف الشيخ أحمد النيسابوري عن مشاهداته في جزيرة الوقواق (ل) :

« ... وقد كنت في أحد ايام شعبان لسنة خمس وتسعين وصفروا أربعمائة بخان المسافرين لمدينة الواقواق لما ساد هرج ومرج عظيمان في الخارج فخرجت أستطلع جلية الامر من ناحية باب المدخل فاذا بعربات بلاد العجم السوداء تجري في الشارع وأمامها يركض جمع غفير من مردة وفتيات الجزيرة وهم يصرخون بكلام لم أفهمه حتى تكاد لهاتهم تنشق وبغتة لم يدر الناظر الا وقد انفتحت عربات العجم عن أشخاص هم بالفزاعات أشبه يقبضون على هراوات من خراطيم الافيال ثم الا وهم ينزلون بها على كل من صادفوه أمامهم ظهورا وجنوبا وأذرعا غير مبالين بالاضلع المنحطمة والدماء الفائرة ولكزني مسافر وقف بجنبي يشاهد أن أنظر فنظرت حيث أشار فرأيت احدى فزاعات بلاد العجم تلك قادمة نحونا وهي تهز خرطومها في هز من يبتغي الفتنة والفتك فاستغثت بالله طالبا منه السلامة ورفعت أذيالي ، ثم عدوت الى حجرتي ... »

6 ـ عبد الله سامسا :

قال قل ، قال ماذا أقول ؟ قال قل ،

7 ـ مقتطف من حديث اذاعته جزيرة الواقواق :

« ... وخلاصنا أيها الاخوة في الروح لا في المادة . لنترك لامم المادة أن تنزل فوق القمر والمريخ والشمس وأن تعري بنانتها وأبناءها وتدفعهم لمزاولة الفحشاء في الشوارع ، لنترك لها أن تخترع نظريات الالحاد والفوضى القائلة بان الاقتصاد أساس المجتمع وأن المجتمع منقسم الى طبقات متناحرة وأن مصدر متاعب الناس امتلاكهم للارض ، والقائلة ـ بلا خجل ـ ان أصل الانسان الطاهر الزكي هذا يعود الى قرد (وهذا ينطبق على أصحابها أولا وأخيرا ، ولا يقول به الا من كان جده قردا بالفعل ، أما نحن فجدنا هو آدم عليه السلام ، ومن لم يقبل ذلك فليضرب رأسه مع الحائط) ... لنترك لهم كل ذلك أيها الاخوة .. ولنعد الى العالم الحقيقي .. الى عالم الروح الذي لا تنافر فيه ولا اضطراب ولا ازعاج ولا انزعاج ، بل سعادة لا نهائية مطلقة ، وطمأنينة لا حد لها ، وسيادة حقيقية خالدة على عالمي الاولى والآخرة .. »

8 ـ عبد الله سامسا :

قال قل ، قال ماذا أقول . قال قل . قال ليس لي ما أقوله .

9 ـ بعض ما رواه الشريف الشيخ أحمد النيسابوري ... (ب) :

« ... ولما استعلمت عشية يومه صاحب الخان أعلمني أن الجزيرة تكابد قرابة جيلين من المجاعات والويلات المدمرة الكاسحة وأن علماء المدينة وفقهاءها وأولى الشأن فيها تذاكروا في الامر وتشاوروا فيه مددا ثم أفتوا بأن سبب قحط البلاد والفوضى الضاربة فيها الاطناب هو انتشار أفكار غريبة أجنبية مستوردة واحتلالها لعقول العباد بالقبح والفساد وبسببه انما قر عزم ولاة المصر وتضميمهم على جهاد منكر الافكار هذه وقطع دابرها . وأفادني صاحب الخان أن ما جرى صبيحته لم يكن سوى حرب من الحروب العديدة التي تخوضها الجزيرة لمحو دابر الافكار تلك فاستغربت وقلت له ان خلقا كثيرا قتل وأنا أنظر فقال لي ان ما رأيته لم يكن خلقا وانما هي أفكار مستوردة يخيل للرائي أنها تمشي وتتكلم وتقوم وتقعد مثل سائر الخلق بينما هي خيالات لا أعيان لها (...) وانتهت الى أن قول القائل منهم فكرة مستوردة هو عندهم بمثابة القائل عندنا جن أو عفريت أو ما شابههما ... »

10 ـ عبد الله سامسا :

قال قل ، قال ماذا أقول . قال قل . قال قل . قال ليس لي ما أقوله . قال قل

وانبعثت قبضة رعناء انحدرت عن جد البشر الاول في سرعة الضوء لتستقر تحت منتصف الاضلع السفلى . ومن فمه المفتوح انبثق عواء ذئب وخيط دم وطارت جثته الى الخلف وصاح :

قتلتموني ، فقال : الان كلا ، ولكن ان رفضت البوح سنفعل .

مـــلا حـــــق

0 ملحق أول : مقطع من تقرير مقدم الحي :

« ... أقسم بالله العظيم ثلاثا أنه أصبح كافرا ، فبأذني هاتين ـ قطعهما الله ان كنت كاذبا ـ سمعت السيد (...) امام المسجد يلومه على تركه للصلاة دونما سبب ويناشده بالعودة الى حظيرة السلف الصالح ، وبعيني هاتين ـ فقأهما الله ان أنا جانبت جادة الصواب ـ شاهدته ـ أي والله ـ يرفع كتفيه في استهانة ونزق وينصرف تاركا العالم الفقيه الورع فاغرا الفم جاحظ العين (...) وقد أخبرني الحاج (...) صاحب دكان المواد الغذائية أنه تكلم معه معه بتطاول عن ارتفاع أثمنة خيرات الله وقال له ان سببه هو وجود فقراء كثيرين وأغنياء قلة يأكلون أموال أولئك . فلما ذكره الحاج ابراهيم بأن الله فضل بعضا على بعض في الرزق أجابه ـ أعوذ بالله من جواب ـ ان المقصود بالرزق العقل وليس المال والنقد (...) وحاولت جهد المستطاع أن أتصل بهذا الزنديق وأعرف ما وراء رأسه ، الا انه قطع كلامه معي وأصبح يشيح عني بوجهه كلما رآني قادما من بعيد أو لقيت له بتحية ... »

0 ملحق ثان : محضر ...

« قمنا صبيحة يوم (...) على الساعة (...) بكبس منزل المدعو عبد الله سامسا ، وقد وجدناه وحده ، غارقا في النوم . فالقينا عليه القبض حسب الامر (...) الصادر بتاريخ (...) وبعد تفتيش لمنزله استغرق حوالي 4 ساعات ، ضبطنا بحوزته :

ـ كتابا عنوانه : جمهورية أفلاطون الديموقراطية .

ـ صورة ملونة لعدد ضخم من الناس الباسمين .

ـ ثابوتا خشبيا أسود اللون .

وقد قمنا بمصادرة هذه الادلة ، وحملناها مع الموقوف الى (...) وحرر هذا المحضر بحضور (...) ، »

0 ملحق ثالث : تحقيق :

« ـ لماذا لم تعد ترد التحية على مقدم الحي ؟

ـ . . . . . .

ـ مسألة تخصك وحدك ، أليس كذلك ؟

ـ . . . . . .

ـ ولم قطعت صلاتك ؟

ـ . . . . . .

ـ مسألة خصوصية أيضا ، أليس كذلك ؟

ـ . . . . . .

ـ والاحتفاظ بالكتب والصور الممنوعة والتوابيت في البيت ؟ مسألة خاصة أيضا ؟ والفقراء والاغنياء والعقل ؟ كلها مسائل خاصة طبعا ...

ـ . . . . . .

ـ حتى نحن نعتقلك لانها مسألة خاصة بنا وحدنا ... ها ها ها ... ،، ماذا ترى ؟ »

0 ملحق رابع : مقطع من تقرير سري :

« ورغم رفضه التكلم عن زعمائه وشركائه في الفتنة مع مختلف الاساليب التي استعملناها معه ، يبقى لدينا دليل قوي على ما أشيع من حمله للافكار المسنوردة ، وهو ، بالاضافة الى الكتاب والصور ، التابوت الاسود الذي حرمنا صنع أمثاله منذ غادر الروم بلادنا مغادرة نهائية . وحصلنا على حريتنا المطلقة ... »

0 ملحق أخير : شهادة شخص رفض أن يذكر اسمه :

« ... أتوا به ليلا ، لم أر وجهه ، لكن جسمه كان منتفخا ، وضعوه في مخزن الجثث الثلجي وأمرني بحراسته . حرسته يومين كاملين قبل أن يعودوا ثانية . سألوني : هل تحرك ؟، دهشت وقلت لا . بدوا فزعين رغم تظاهرهم بغير ذلك ، وقعوا على الاوراق بسرعة ، وقال لهم الطبيب المشرف : ألا تتركوه لطلبة التشريح . فقالوا لا في انزعاج ظاهر ، وأمروا الممرض المشرف

باخراجه ، وبسرعة ذهبوا به . ولم ألمح منه غير قدميه ، كانت أظافرهما مقتلعة ، وباطنهما ممزقين . خيل لي أنني لمحت من خلال المزق الزرقاء وسواد الدم المتجمد صفرة السلاميات . خيل لي فقط ، لانه بمجرد القائي النظرة ارتدا لي غثيان مريع ، ودوار لم أبرأ منه بعد ... »

نوفمبر 1975

نار تحت الجلد

مسرحية شعرية

أحمد بنميمون